المعتقلات والمحتشدات إبّان الثورة التحريرية
(ولاية المدية أنموذجا)

أ. نعلمان نادية
جامعة خميس مليانة

مقدمة:

لقد ارتبط الوجود الاستعماري بالجزائر بملف دموي مليء بالجرائم اللاإنسانية، حيث سعت فرنسا مستعملة شتى الوسائل للحفاظ على مستعمرتها وذلك من 1830 إلى غاية 1962، لكن فترة 1954 إلى 1962 زادت فرنسا من بطشها وجرائمها للقضاء على الثورة حيث شنت على الجزائريين حربين، حرب جسدية مستخدمة كل أساليب وأنواع التعذيب، وحرب نفسية للقضاء على عزيمة المجاهدين والجزائريين للتخلي عن الثورة والرضوخ لفرنسا وذلك من خلال إقامتها لمعتقلات ومحتشدات رأت فيهم السبيل للقضاء على الثورة، حيث استخدمت ضدهم كل أنواع التعذيب النفسي والجسدي معتمدة في ذلك على خبراء في الإرهاب النفسي.

تعريف المعتقلات:

لقد عملت السلطات الاستعمارية على إيجاد المعتقلات ابتداء من منتصف سنة 1955، بعد فرضها لحالة الطوارئ في 30 أفريل1955، من أجل السماح لنفسها باعتقال وسجن كل مشتبه فيه سواء مساعد للثورة أو متعاطف معها، ومنه قامت بحملة اعتقالات في حق الشعب الجزائري، وأول معتقل تم إنشاؤه في الجزائر يرجع إلى شهر أفريل 1955. [1]

والمعتقل هو مكان يجمع فيه الناس وتقيّد حريّتهم، وسياق الأشخاص إلى المعتقل نتيجة لفوضى طارئة أو لثورة قائمة بدون محاكمة.[2]

وتختلف حياة المعتقلين داخل المعتقل باختلاف الإدارة التي تسيرهم ولا يخضعون للباس معين، كما في السجن إلى ذلك أنهم يتمتعون ببعض الحريات داخل المعتقل بالاضطلاع على الصحف والسماع للإذاعة.[3]

وكان أغلبية المعتقلين من المناضلين السياسيين الذين ينجون من الموت نتيجة للتعذيب في مراكز التعذيب و لم تثبت في حقهم تهمة ، وكذلك المناضلين الذين يكملون مدة عقوبتهم، فعوض أن يذهبوا إلى ديارهم يجدون عربات تنتظرهم وتأخذهم مباشرة إلى أحد المعتقلات.[4]

وهناك نوعان من المعتقلات:

*معتقلات سياسيةCentred'hébergement: وكانت تسير من طرف السلطات الإدارية(الوالي)، ومن بين هذه المعتقلات نذكر معتقل البرواقية(80 معتقل) وكان مخصص للمناضلين السياسيين الجزائريين.

*معتقل اللودي(170 معتقل) الواقع شمال غرب المدية ومعتقلين من الحزب الشيوعي.

وبالتالي فإن الاعتقال كان بقرار يصدر من أو عن الوالي، يشمل المناضلين السياسيين وأعضاء الحزب الشيوعي والنقابيين.[5]

وهذا ما أكّد عليه بول تيتجن في مذكراته حيث أشار قائلا:" أعطى الحاكم العام أمراً بالبحث واعتقال أعضاء الحزب الشيوعي والنقابيين، فحددت قائمة المشتبه فيهم لاعتقالهم".[6]

* أما النوع الثاني من المعتقلات فقد كان تحت سيطرة الجيش مباشرة هذا ما أدّى إلى تزايد نسبة الاعتقال بشكل رهيب، وذلك ابتداءا من سنة 1957 بعدما اشتد لهيب الثورة وتنوعت المعتقلات في هذه الفترة ويمكن تصنيفها كالتالي:

- مركز الاعتقال للفرز والعبور للقسمSecteur CTTS, CT :

وظهرت سنة 1957 تزامنا مع ظهور جهاز DOPالمختص في التعذيب والاستنطاق، وتعتبر هذه المراكز كمراكز للاستنطاق لذا تمارس فيها مختلف أنواع التعذيب والاستنطاق.

- مركز الفرز والإنتقاء للناحية(Secteur CT,CITT)
- مركز الإعتقال العسكري (CMI)[7]

وقد ازدادت نسبة الاعتقالات وبشكل رهيب بعد 1957 بعد ما ازداد لهيب الثورة فأصبحت السجون والمعتقلات مملوءة بالجزائريين سواء داخل الوطن أو حتى خارجه والهدف منه هو القضاء على الثورة ومحاولة استمالة المعتقلين خاصة الطبقة المثقفة إلى صفوف الحركى والجيش الفرنسي بعد عملية غسل الدماغ من قبل مختصين في التعذيب النفسي أو حتى بالقوة ومن المعتقلات التي كانت موجودة بالمدية نذكر[8]:

اسم المعتقل	مكان وجود المعتقل	عدد المعتقلين
معتقل أولاد معرف	يقع بدائرة عين بوسيف، قرية أولاد امعرف، بالمنطقة الخامسة الناحية الأولى، أنشئ سنة 1956	يوجد به أكثر من 30 معتقل
معتقل البرج	يقع بدائرة عين بوسيف، قرية عين بوسيف ، المنطقة الخامسة، الناحية الأولى، أنشئ سنة 1956	أكثر من 50 معتقل
معتقل حوش موسكوني	يقع بدائرة العمارية، بلدية أولاد، بالمنطقة الثانية، الناحية الثانية، القسم الثالث	يوجد به حوالي20 معتقل
معتقل حوش فولوفيقس	يقع بدائرة العمارية، قرية أولاد ابراهيم، المنطقة الثانية، الناحية الثانية، القسم الثالث	عدد المعتقلين من 10 إلى 15 معتقل
معتقل حوش مارفال-جوانييس	يقع بدائرة العمارية، قرية أولاد ابراهيم، المنطقة الثانية، الناحية الثانية، القسم الثالث	من 60 إلى 70 معتقل
معتقل بوسكن	دائرة بني سليمان، بلدية بوسكن، قرية بوسكن، المنطقة الخامسة، أنشئ سنة 1956	150 معتقل
معتقل العوينات	يقع بدائرة عين بوسيف، بلدية العوينات، قرية العوينات، المنطقة الخامسة، الناحية الأولى، أنشئ سنة 1957	أكثر من 30 معتقل
معتقل البواعيش	دائرة الشهبونية، بلدية البواعيش،قريةالبواعيش، قرية البرواعيش، المنطقة الخامسة، أنشئ سنة 1958	10 معتقلين
معتقل الكروشة	دائرة بني سليمان، بلدية بني سليمان، قرية الكروشة، المنطقة الخامسة، أنشئ سنة 1958	300 معتقل
معتقل حوش ليشار	دائرة العمارية، بلدية أولاد ابراهيم، المنطقة الثانية، الناحية الثانية، القسم الثالث	من 50 إلى 60 معتقل
معتقل حوش قليمة	دائرة العمارية، بلدية أولاد ابراهيم، المنطقة الثانية، الناحية الثانية، القسم الثالث	من 30 إلى 40 معتقل[9]
معتقل كامورا(موران العسكري)	يقع في مدينة قصر البخاري قرب جبل بوغار، خصص للتعذيب سنة 1958	يوجد به حوالي 900 معتقل[10]

المحتشدات:

المحتشدات هي مستوطنات غير طبيعية، تضم وطنيين غير مدانين أو متابعين قضائيا أقيمت في أماكن حددتها السلطات الاستعمارية، تحيط بها الأسلاك الشائكة، يقيم فيها جزائريون هربوا غصبا من أراضيهم، وفرضت على هذه المحتشدات حراسة مشدّدة، بهدف عزل الشعب عن الثورة وبالتالي قطع كل أشكال الدعم عن المجاهدين.[11]

وقد عرفت هذه المحتشدات أيضا باسم " السلك" نظرا للأسلاك الشائكة التي كانت تحيط بها[12]، وفي نفس الوقت هذه المحتشدات هي شبيهة بمراكز التصفية، وتختلف عنها في اتساع رقعتها وتعدد المسؤولين بها، وهيمنة رجال المصالح الإدارية الخاصة S.A.S عليها، وأيضا تمارس فيها أنواع الاستنطاق والتعذيب كباقي المراكز، ويتعرض نزلاؤها للمصير المجهول أيضا.[13]

وهذه المحتشدات لم تطبق رسميا إلى في سنة 1956، بعد صدور قانون حالة الطوارئ في أفريل 1955.[14]

وقد وصل عدد الجزائريين الذين تم وضعهم في المحتشدات إلى مليون و157 ألف جزائري وهو ما يعادل ربع الشعب الجزائري، حيث اعترف الوزير المفوض " بول ديلوفربي" ناطقا رسميا باسم الحكومة الفرنسية في الجزائر قائلا:" إنّ المصالح الإدارية المتخصصة (مكاتب لاصاص) قد جمعت عدد من الجزائريين وصل إلى مليون ومئتين وخمسون ألف شخص"[15].

وفي سنة 1958 وصل عدد المحتشدين بمقاطعة المدية إلى 80.000 نسمة[16] وعدد المحتشدين بالولاية الرابعة آنذاك وصل إلى 504 ألف نسمة، وبالتالي فالمدية تمثل نسبة 16%.

وهذه المحتشدات لم تكن سوى شكل من أشكال الضغط على الثوار وذلك من أجل تشديد الخناق عليهم كون الشعب منبع من منابع استمرارها.

وقد كانت هذه المحتشدات عبارة عن سجون جماعية عانى من بداخلها كل أنواع البؤس والحرمان، حيث أشار الأسقف " جاك بومون" واصفا الأوضاع المزرية لأطفال المحتشدات في كراسة دونها في أكتوبر 1959 بقوله:" رأيت أطفالا تميز عظامهم تحت البشرة بوضوح، إنهم أطفال أنهكتهم الحمى والبرد، فلم يكتمل نموهم، ورافقهم الشحوب والهزل، وأكلتهم الأمراض المختلفة دون أن يجدوا فرصا من الكنين لإيقاف الحمى لقد رأيتهم يرتجفون من الحمى وهم راقدون على الأرض بدون غطاء، لقد زرت الكثير من المراكز التي لا يوجد بها غطاء واحد وإذا وجد في بعض الأحيان فهو غطاء واحد لثلاثة عشر شخصا يتغطون به جميعا في خيمة واحدة"[17].

وكان الهدف من وراء إنشاء هذه المحتشدات هو:

-عزل جيش التحرير الوطني عن مصدرها الأساسي وهو الشعب.

-الحيلولة دون تأثير الجزائريين بالعمل الدعائي والوعي الوطني والسياسي الذي تقوم به أجهزة جيش وجبهة التحرير الوطني.

-منع التحاق هؤلاء الأنصار(الشعب) بالثورة[18].

ومن بين المحتشدات التي كانت موجودة بولاية المدية نذكر[19]:

اسم المحتشد	مكان وجود المحتشد	عدد أبراج الحراسة	عدد جنود الجيش الفرنسي
محتشد الكاف لخضر	دائرة عين بوسيف، بلدية الكاف لخضر، المنطقة الخامسة، الناحية الأولى، أنشئ سنة1956	03 أبراج للحراسة	حوالي 400 جندي استعماري
محتشد عين بوسيف	دائرة عين بوسيف، بلدية عين بوسيف، قرية عين بوسيف، المنطقة الخامسة، الناحية الأولى، أنشئ سنة1957	05 أبراج للحراسة	حوالي 500 جندي فرنسي
محتشد سيدي قويدر	دائرة القلب الكبير، بلدية بئر بن عابد، المنطقة الخامسة، الناحية الثانية، أنشئ سنة1959	03 أبراج للحراسة	فصيلة من جنود العدو
محتشد بوسكن	دائرة بني سليمان، بلدية بوسكن، قرية بوسكن، ، المنطقة الخامسة، الناحية الثالثة، أنشئ سنة1956	04 أبراج للحراسة	500 جندي فرنسي
محتشد عين بورغو	دائرة القلب الكبير، بلدية بئر بن عابد، المنطقة الخامسة، الناحية الثانية، أنشئ سنة1959	04 أبراج للحراسة	فصيلة من جنود العدو
محتشد أولاد طريف	دائرة العمارية، بلدية أولاد ابراهيم، قرية أولاد طريف،أنشئ سنة1956	04 أبراج للحراسة	من 300 إلى 500 جندي فرنسي
محتشد بواعيش	دائرة الشهبونية، بلدية البواعيش، المنطقة الخامسة، الناحية الرابعة، أنشئ سنة1960-1961	02 أبراج للحراسة	40
محتشد أولاد عمر	دائرة القلب الكبير، بلدية بئر بن عابد، المنطقة الخامسة، الناحية الثانية، أنشئ سنة1959	04 أبراج للحراسة	فصيلة من جنود العدو
محتشد العوينات	دائرة عين بوسيف، بلدية العوينات، المنطقة الخامسة، الناحية الأولى، أنشئ سنة 1956	03 أبراج للحراسة	حوالي 300 جندي فرنسي
محتشد الكروشة	دائرة بني سليمان، بلدية بني سليمان، قرية الكروشة، المنطقة الخامسة، أنشئ سنة1958	04 أبراج للحراسة	500 جندي فرنسي

* الأهداف الاستعمارية من وراء إنشاء المعتقلات والمحتشدات :

كانت السلطات الاستعمارية تسعى من وراء إنشاء هذه المعتقلات والمحتشدات إلى عدة أهداف خاصة أهداف نفسية ويمكن تبيانها في:

01-الهدف الصحي: هو محاولة القضاء على العنصر البشري، حيث كانت هذه المحتشدات تفتقر إلى أدنى شروط النظافة والعناية الصحية، علاوة على تجمع مياه الصرف القذرة وهكذا فقد تدهورت حالة السكان الصحية كثيرا، فالأجسام هزيلة وضعيفة، وتفشت الأمراض كالحمى والتيفويد والكوليرا...إلخ[20].

02-حاولت فرنسا إيهام الرأي العام الدولي من خلال إنشائها لهذه المحتشدات والمعتقلات بالقرب من المراكز العسكرية الفرنسية، بأن الشعب الجزائري سئم من الثورة والثوار مما دفع بهم من الجبال والأرياف والمداشر التي يقطنونها ، إلى هذه المناطق التي يقيم فيها الجيش الفرنسي حتى يوفر لهم الأمن والحماية[21].

03- زرع البلبلة والفتنة في صفوف الجزائريين للتفرقة بين أبناء البلد الواحد، حيث كانت فرنسا تسعى إلى ضم أكثر عدد ممكن من الجزائريين إلى صفوفها لإبعادهم عن الثورة مستخدمة في ذلك الحركى بالدرجة الأولى، ثم عناصر لاصاص "S.A.S"، وأيضا شجعت الحزبية الطائفية حيث تفننت في إحياء الحزبية.

04- محاولة جعل المعتقلين والذين زج بهم في المحتشدات محضرين ومهيئين نفسيا لتقبل مختلف المشاريع الفرنسية والتي تهدف إلى إخماد نار الثورة مثل: مشروع سلم الشجعان، وفكرة وضع السلاح قبل التفاوض، وزرع الشك بين قيادات الثورة، حيث كانوا يقولون بأن القادة في الخارج يتمتعون بالسيارات والنساء والرفاهية بواسطة الأموال التي تجمعوها لهم، في الوقت الذي يرسلون قيادات الداخل إلى الموت[22].

05- لقد كانت المعتقلات تسير خاصة من قبل الفرق الإدارية المتخصصة"S.A.S"، ويمتاز نشاطهم في التأثير على المعتقلين وغسل أمخاخهم بالإغراءات والادعاءات الكاذبة والتأكيد خاصة على الطبقة المثقفة.

خاتمة:

وفي الأخير نستخلص بأن فرنسا استعملت كل الوسائل للقضاء على الثورة، لكن كل مخططاتها باءت بالفشل حيث أصبحت هذه المحتشدات والمعتقلات مسرحا لتوعية الجزائريين بأهمية الثورة والصمود والتوحد من أجل الوصول إلى الاستقلال، وتحطيم المخططات الفرنسية.

الهوامش:

(1)-Patrick Kessel;Giovanni Perilli, Peupel Algerien et la guerre, lettres et témoignages d'Algériens (1954-1962),Paris maspero,1962,P72.

(2)-المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، السجون والمعتقلات والمحتشدات الفرنسية أثناء ثورة التحرير، مصلحة البحوث والتوثيق بالمركز، ص07.

(3)- نفسه، ص13.

(4)- رشيد الزبير، جرائم فرنسا الاستعمارية في الولاية الرابعة 1959-1962،دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2012، ص104.

(5)- رشيد الزبير، ص106-107.

(6)- نفسه، ص107.

وأيضا:

Pierre vidal, naquet, torture dans la république, édition de minut, Paris,1975 ,P189.

(7)- رشيد الزبير، نفسه، ص113.

(8)- وزارة المجاهدين، مديرية المجاهدين لولاية المدية، مصلحة التراث الثقافي والتاريخي، بطاقة فنية عن معتقلات ولاية المدية، ص01.

(9)- المنظمة الوطنية للمجاهدين، الجمعية التاريخية والثقافية، 11 ديسمبر1960، جحيم معتقل موران، الجزائر، 210 ،ص03.

(10)-نفسه، ص02.

(11)- دليل مصطلحات الثورة التحريرية الجزائرية 1954-1962، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، الجزائر، 2001، ص76.

(12)- بختاوي قاسمي، مقال بعنوان المحتشدات ومراكز التعذيب شهادات حية من منطقة صبرة "تلمسان"، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية معسكر، 2012، ص222.

[13]–المنظمة الوطنية للمجاهدين، تقرير الملتقى الجهوي المقدم للملتقى الوطني الثالث لتسجيل وقائع وأحداث الثـــورة التحريريـــة للولاية الرابعة، ج2، التقرير السياسي 1959-1962،ص175.

[14]–بمجرد ما وضعت حالة الطوارئ حيّز التنفيذ دخلت الجزائر مرحلة جديدة من حياتها، وأهم ما طبعت به تلك المرحلـــة هـــي ظهور المحتشدات التي نظر في إنشائها اختيار المناطق النائية، وقد كان اللجوء إلى إنشاء المحتشدات أمرا منطقيا، يندرج ضمن المادة "7" من وثيقة حالة الطوارئ، والتي تشير إلى أنه في استطاعة وزير الداخلية في جمع الحالات والوالي العام أن ينفيا إلى ألأي دائـــرة ترابية أو إلى أي مكان محدد كل شخص يبدو نشاطه خطيرا على الأمن والنظام العام، أنظر: محمد الأمين بلغيث موقف المـــثقفين الفرنسيين من التعذيب والسجون والمحتشدات أثناء الثورة الجزائرية، منشورات المركز الوطني للدراســـات والبحـــث في الحركـــة الوطنية وثورة أول 1954، مجلة المصادر، العدد 05، الجزائر، 2001، ص187.

[15]– كريم ولد بنية، محتشدات منطقة سيدي بلعباس، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مرجع سابق، ص117.

[16]–رشيد الزبير، جرائم فرنسا الاستعمارية، مرجع سابق، ص131-132.

[17]– محمد لحسن زغيدي، مؤتمر الصومام وتطور الثورة التحريرية الجائريـــة1956-1962، دار هومـــة للطباعـــة والنشـــر، الجزائر،2005، ص ص 202-203.

[18]– محمد الأمين بلغيث، موقف المثقفين الفرنسيين من التعذيب...، مرجع سابق، ص188.

[19]– وزارة المجاهدين، مديرية المجاهدين لولاية المدية، مصلحة التراث الثقافي والتاريخي، بطاقة فنية حول محتشدات ولاية المديـــة، ص01.

[20]– عمار قليل، ملحمة الجزائر الجديدة، ج3، دار البعث قسنطينة، الجزائر 1991، ص 37.

[21]– إبراهيم لونيسي، المعتقلات وتوظيفها في ممارسة الحرب النفسية على الجزائريين، مجلة الناصرية، مرجع سابق، ص22.

[22]–علي خلاصي، أساليب التعذيب والتذليل التي مارستها فرنسا ضد الشعب الجزائري 1954-1962، مجلة التراث، جمعيـــة التاريخ والتراث الأثري بمنطقة الأوراس، عدد07، نوفمبر 1994، ص ص205-2013